تصوير الملامح الإسلامية في أدب الرحلات للشيخ الندوي

أ. د. مُحَمَّد نجم الحق الندوي*

Absatract:

Maulana Sayyid Abul Hasan Ali Nadwi (Ali Miyan) had an outstanding position, not only in India but also in the Islamic world particularly, in the Arab world. Several factors distinguished Maulana Sayyid Abul Hasan `Ali Nadwi from his contemporaries besides his educational attainments. His lineage goes back to the Prophet Muhammad (SAW) and is hailed for being a part of scholarly family. As both of these traits were rare privileges in combination with scholarship and conveyed an aura of respect and veneration among scholars wherever he travelled. He was indisputably one of the greatest exponents of Islam in the second half of the twentieth century. Due to his command over Arabic, in writings and speeches, he had a wide area of influence extending far beyond the Sub-continent, particularly in the Arab World.

Key word: distinguished personality, Indisputable, influencing contemporary

من المعلوم أن الأدب يعد أحد الفنون المهمة التي تساهم في توجيه الثقافة لدى الشعوب، وبناء الإنسان الفعال القادر على صناعة التاريخ وبناء الحضارات، ومن هنا ربط كثير من الدارسين والمفكرين بين الأدب وازدهار وصحة الأمم وعافيتها، لاتصاله المباشر بالعقول والنفوس، ولكونه أحد عناصر التربية الضرورية في بناء أية حضارة[1].

وقد عرفت الحضارة الإسلامية منذ بزوغ إشعاعها الأول قيمة الأدب كعنصر موجه للأفراد والجماعات، فكان أن أعلت من قيمة الكلمة ورفعت من مستوى الأدب، وجعلتهما في خدمة الفكر والتصور، وقد كان القرآن الكريم ببلاغته الرفيعة منبعاً للحكمة والمعرفة والأدب الرفيع يستمد منه الأدباء والبلغاء مادتهم، ويقيمون عليه تصوراتهم، وكان الحديث النبوي الشريف مصدراً للهداية والمعرفة، والأدب والثقافة لا يستغني عنه الأديب المسلم في تكوين الفكرة وتشكيلها، وبناء الرؤية وتحديدها.

---

* عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،مدير معهد اللغة العربية الجامعة الإسلامية العامية شيتاغونغ ،بنغلاديش.

1) مالك بن نبي "شروط النهضة" (دار الفكر ,دمشق 1987, سنة م) ص 110 .

وعن هذه الحضارة تشكّل تراث متميز، وأدب حي عبر عن شخصية الأمة وثقافتها، ودافعا عبر العصور عن هويتها وعن خصوصيتها حين كانت تبرز في الآفاق الأخطار والتحديات المختلفة، وكانا سلاحاً قوياً في أيدي المخلصين من أبناء الأمة يردون به كيد الجاهلين، وتحريف المبطلين.

ولم يكن هذا الأدب الحي الذي شهده التاريخ الإسلامي وحده سائداً في الساحة، فقد كان هناك أدب يناقضه في المبدأ والرؤية، بعضه يرغبه أهل الضلال والبدعة، وبعضه يحبه أهل التكلّف والصنعة، وبعضه مؤيد من أهل الرئاسة والسلطة، وبعضه ممزوج بأفكار أهل الأهواء والغفلة، وساهم كله في تردي الأمة وضعفها ودخولها في ليل التاريخ.

وشهد العصر الحديث تحديات كثيرة، وأخطاراً متنوعة بسبب الاستعمار والتمزق والتخلف، وقد كانت الفرصة مواتية أمام كثير من بلدان العالم الإسلامي للنهضة، وبخاصة بعد حصولها على الاستقلال، ولكن بسبب المناهج المستوردة التي سيطرت على الحياة بمستوياتها المختلفة وغير ذلك من الأسباب الأخرى، لم نشهد أي إقلاع حضاري يحفظ احترامنا أمام الآخرين، حتى قامت الصحوة الإسلامية لتعلن رفضها للمناهج الغربية عن الإسلام، وتتبنى مبدأ أسلمة الرؤى والمناهج والفكر والثقافة في جميع مستويات الحياة، لبناء المشروع الإسلامي الكبير وإعادة الأمة إلى استئناف الحياة الإسلامية.

وقد كان للأدب حيّز من الاهتمام في العمل الإسلامي، فبذلت جهود لإعادة الأدب إلى تبني الرؤية الإسلامية في التعبير عن الحياة والكون والإنسان، وظهر مفكرون أوفياء دعوا في أعمالهم الرائدة إلى الاهتمام بالأدب الإسلامي أذكر منهم الإمام الشهيد حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشيخ "أبو الحسن الندوي"، والأستاذ مُحَّد قطب، والدكتور نجيب الكيلاني علي الطنطاوي.. وغيرهم.

ويعد الشيخ أبو الحسن الندوي – رحمه الله – أحد الرواد الأوائل في هذا العصر الذين اهتموا بالأدب الإسلامي كتابة وتنظيراً، وتوجيهاً ونقداً، وقد توّجت جهوده في السنوات الأخيرة بإقامة رابطة عالمية للأدب الإسلامي، وسنسلط الضوء في هذا البحث على بعض جوانب التنظير والكتابة التي مارسها في هذا الشأن، والله الموفق إلى الصواب.

1- مفهوم الأدب:

ينطلق الشيخ أبو الحسن الندوي من رؤية واضحة في تحديد الأدب، إذ يرى أن الأدب الطبيعي الجميل هو التعبير البليغ الذي يحرك النفوس، ويثير الإعجاب، ويوسّع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة[1].

فهذا المفهوم يشمل مجموعة من الخصائص والمقومات الشكلية والقيمية والجمالية التي إذا توافرت في الأدب منحته قوة الإبداع والإمتاع، وأعطته صفة البقاء والخلود، فالأدب من حيث المقومات الشكلية لابد أن يكون بعيداً عن الصناعة والتكلّف، يأخذ من الأشكال أجملها وأقربها إلى الطبيعة الإنسانية السوية، وهو أدب بليغ هدفه توصيل المعنى إلى القلوب في أحسن صورة من الألفاظ، وهو من حيث المقومات القيمية أدب ذو رسالة في المجتمع بما يحمل من قيم إيجابية تحرّك النفوس، وتوسّع المدارك، وتبعث في النفس الثقة والفاعلية، وهو من حيث المقومات الجمالية أدب جميل يوظف الجمال في إبراز الأبعاد القيمية، لأن القيم هي مقياس الجمال في الرؤية الإسلامية.

وركز الشيخ أبو الحسن الندوي تركيزاً شديداً على الوظيفة الإقناعية والتأثيرية للأدب فقال: "الأدب في أوسع معانيه هو تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم مؤثر لا غير"[2].

وكان يرى الشيخ – رحمه الله – أن عنصري الإخلاص والصدق في الأدب هما اللذان يهبانه هذا البعد الوظيفي لأنهما يمنحانه الروح والقوة والحيوية ويحملانه حقيقة أبدية خالدة[3].

2- وظيفة الأدب:

إن للأدب رسالة حقيقية في المجتمع الإسلامي، وبهذه الرسالة يكتسب مكانته وقيمته الحقيقية باعتباره راعياً لقيم الخير في المجتمع، وموجهاً للثقافة النافعة التي تساهم في البناء الحضاري، ومن هنا حرص الشيخ أبو الحسن الندوي على بيان هذا البعد الوظيفي للأدب فقال: "حاجتنا وحاجة هذا العهد، وحاجة العالم العربي بصفة خاصة، هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية، المتدفق بالقوة الذي يحمل رسالة سامية سماوية، إنسانية إسلامية، عالمية"[4].

فالأدب الذي حرص الشيخ على إسلاميته لابد أن يؤدي وظيفته الخطيرة في المجتمع، لأنه ملتزم بحمل قضايا الفكر والعقيدة والتصور السليم، وقيم الخير والعدل وفق ما جاء في الكتاب والسنة، لمزجها بقلوب الناس وعقولهم حتى يتكون الفرد المسلم ثم المجتمع المسلم.

---

2) أبو الحسن الندوي "نظرات في الأدب " (دار البشير، عمان، الأردن, سنة 1990م) ص22.

3) المرجع نفسه ص 35.

4) المرجع نفسه ص 36.

5) المرجع نفسه ص 113.

وهذا الالتزام ليس قيداً على حرية الأديب، كما يعتقد دعاة التحرر في الفن والأدب، بل هو الذي يميّز الأدب، ويمنحه طابعه الخاص والالتزام –كقضية – حقيقة مقررة وخطة مسلم بها في علم الفن والآداب[1].

واستدل الشيخ الندوي على أهمية هذا البعد الوظيفي للأدب الإسلامي بما تركه أدباؤنا وكتابنا القدماء من أدب حي خالد فقال: "كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة، يكتبون لأنفسهم، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين فتشتعل مواهبهم، ويفيض خاطرهم، ويتحرك قلبهم، فتنهال عليهم المعاني، وتطاوعهم الألفاظ وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا في قلب"[2].

3- الأدب والتسلية:

الأدب الهادف والجاد مناف للتسلية الرخيصة وبخاصة حين تصبح التسلية غاية أولى لقارئ الأدب، فتراه يبحث عن المتعة الزائلة لبذل وقت، وتسلية نفس، دون أن يعطي أي اعتبار للقيم الإيجابية في الأدب، وهذا سيعطل الكثير من الطاقات، ويبعث السلبية والركون في المجتمع، وقد أشار الشيخ أبو الحسن الندوي إلى هذا المعنى فقال: "الأدب ليس أداة تسلية أو إزجاء وقت (أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء) فحسب، بل الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة وللتأثير في النفس الإنسانية)[3].

فالأدب الذي يطمح الشيخ الندوي في أن يكون إسلامياً ينبغي ألا يكون هدفه الأول تسلية القارئ، لأنه أحد الوسائل المهمة في البناء النفسي والحضاري، وتغيير النفوس وإقدارها على ترك السلبية والكسل، وبخاصة حين يأخذ الأديب المسلم على عاتقه مبدأ توجيه الثقافة نحو العمل الجاد المثمر، وتفجير الطاقات الكامنة في النفوس السليمة.

ونفي التسلية الرخيصة عن الأدب لا يقتضي نفي جانب المتعة فيه، لأن الإمتاع غاية لا يمكن إلغاؤها من الأدب، وإلا فقد تميزه الفني كأدب، والقرآن الكريم نفسه أعطى لهذا الجانب حقه من الاهتمام حتى عد الإمتاع النفسي، والإقناع العقلي من الغايات الأساسية التي يهدف إليها الأسلوب القرآني[4].

إن الأدب الإسلامي أدب جاد، يجمع بين الإمتاع والإقناع، وتمتزج فيه المتعة بالمنفعة، وتنتفي عنه التسلية المؤذية لأنه أدب نابع عن الرؤية الإسلامية التي تهدف إلى غرس الإيجابية في الحياة[1].

---

6) نجيب الكيلاني " الإسلامية والمذاهب الأدبية" (مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان, سنة 1987م) ص46.

7) أبو الحسن الندوي "نظرات في الأدب " (دار البشير، عمان، الأردن, سنة 1990م) ص32.

8) المرجع نفسه – ص 105.

9) محمد عبدالله دراز "النبأ العظيم" (دار القلم، الكويت, دون تاريخ) ص103-111.

4- الأدب الحي والأدب المزخرف:

إن الأدب مرتبط بالنفس الإنسانية لأنه تعبير صادق يصدر عن قواها الوجدانية والفكرية، فهو يحيا بحياتها ويجمد بجمودها وتارةً يكون كالكائن الحي بما فيه من قوى في العاطفة والعقيدة، وتارةً يصبح جامداً لا حياة فيه بعد تجرده من إشعاع الروح وعمق التجربة.

وقد اهتم الشيخ أبو الحسن الندوي، اهتماماً كبيراً في كتاباته في هذا البعد الحيوي فقال: "إنني أتصور الأدب كائناً حياً له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة جازمة وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت جامد، أدب ميت خامد، أشبه بالحركات البهلوانية والرياضات الجمبازية"[2].

وهذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يبعث في نفوسنا روحاً جديدة بما يحمل من إشعاع روحي، وقيم نافعة، أما الأدب الجامد – ويسميه الشيخ الأدب المزخرف – فهو أدب فاقد للمنهج السليم بعدما التصقت به شروط وصفات وتقاليد أفسدته، وطمست نوره فلا بد فيه من السجع والصناعة، ولا بد فيه من البديع والمحسنات اللفظية، ولا بد من تقليد من يُعَدُّ في الطبقة الأولى من الأدباء[3].

ورأى الشيخ الندوي أن محنة الأدب العربي تكمن في تسلط أصحاب التصنع والتكلف على الأدب أولئك الذين يتخذونه حرفة وصناعة، وغايتهم الأولى إثبات البراعة في التنميق والتحبير، وإحراز الشهرة والمنفعة الشخصية بعد التملق للأشخاص أو للهيئات، وأصبح أدبهم بعد فترة منتشراً بين الناس كأنه تماثيل وصور لا حياة فيها[4].

واستدل الشيخ على الأدب الحي بما وصلنا من كتابات علمية ودينية عن علمائنا القدماء وقد كتبها أناس لم يحترفوا الأدب، ولم يجعلوه صناعة، وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على الناس على مر العصور، وما زال تأثيرها مستمراً إلى الآن، والفضل يكمن في قوتها وجمالها، وكونها كتبت عن عقيدة وعاطفة، هذا إلى جانب تحررها من السجع والبديع ومن التكلف والزخرفة.

وأكد الشيخ على أن الروح التي تبعث في الأدب الحياة والبقاء والخلود كامنة في صدق التعبير عن العقيدة والعاطفة[1] فإذا كان الأديب متحلياً بالصدق والإخلاص في التعبير عن فكره وعاطفته، فإن أدبه سيؤدي غايته من

10) نجيب الكيلاني "آفاق الأدب الإسلامي" (مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان, سنة 1987م) ص125.

11) أبو الحسن الندوي "نظرات في الأدب " (دار البشير، عمان، الأردن, سنة 1990م) ص33.

12) المرجع نفسه – ص 31.

13) المرجع نفسه – 21.

التأثير والإقناع، لأن الكلام إذا خرج من القلب كان محله القلب، وهذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يحرك النفوس ويبعث فيها الثقة والرغبة في العمل الجاد المثمر.

وعن كيفية وصول الأديب الإسلامي إلى هذا المستوى الراقي من الأدب قال الشيخ الندوي: "إن الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله والعزوف عن الشهوات، يمنح صاحبه صفاء حس، ولطافة نفس، وعذوبة روح، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة، واقتداراً على التعبير البليغ، فتأتي كتابته كأنها قطعة من نفس صاحبها، وصورة لروحه"[2].

إن الأدب الإسلامي أدب حي، ونحن الآن في حاجة ماسة إلى هذا الأدب لتغيير نفوسنا، وإصلاح حالنا، فقد قال الله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:11.

5- الأدب وقضايا الحضارة:

إن الأدب يساهم مساهمة فعلية في بناء الحضارات أو هدمها فقد يكون مقوماً أساسياً في التربية والبناء والتوجيه، ويصبح قوة دافعة للشعوب نحو التغيير وتجاوز المعوقات والسلبيات، وقد يكون الأدب على النقيض من ذلك حيث ينحرف عن مساره الإيجابي ويصبح معولاً من معاول الهدم، يعرض القيم الهدامة، والأفكار القاتلة، وينخر في الجسم السليم فيصيبه بالشلل والتاريخ يدعم بشواهده الكثيرة هذه الحقيقة.

والحضارة الإسلامية هي مثال يحتذى به في قيم الخير والعدالة والموازنة بين الحاجات الروحية والمادية، وقد أعطت للإنسانية المفهوم السليم للحضارة، والذي بني على فكرة التوحيد، ومساواة البشر أمام الله، واحترام الإنسان المؤمن الفعال بعد تطبيقه للمنهج الإلهي السليم.

وقد كان الأدب الإسلامي وجهاً مشرقاً من وجوه الحضارة الإسلامية في أيام عزها وقيادتها للعالم، وذلك بمساهمته الحقيقية في توجيه الثقافة وشحذ الهمم، وبعث روح العمل والفعالية بين أبناء الأمة، وكان سلاحاً فعالاً في أيدي الدعاة والمخلصين، في بث الدعوة، وقمع المنكر والبدعة، وحين بدأ إشعاع الحضارة الإسلامية بالأفول رأيت الأدب يتجه اتجاهاً سلبياً غلبت عليه الصنعة والنفاق، والشهوة والشقاق، وبدأ يفقد شيئاً فشيئاً قيمته الروحية التي فيها حياة الأمة بكاملها.

---

14) المرجع نفسه – ص23.

15) المرجع نفسه - ص33.

فالأدب الإسلامي – أو الأدب الحي كما سماه الشيخ الندوي - مرتبط ارتباطاً وثيقاً بازدهار الحضارة ونهضة الأمة، لأنه الروح التي تحيي الجسد، وتبعث فيه الحركة والنشاط، وقد أشار إلى هذا المعنى الشاعر الإسلامي الكبير (مُحَّد إقبال) حين قال: "لا خير في نشيد شاعر ولا في صوت مغن إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماسة"[1].

لقد أشار الشيخ الندوي في كتاباته إلى البعد الحضاري للأدب وأهميته في صناعة التاريخ فكثيراً ما كان يكرر هذه الجملة: إننا نحتاج إلى أدب ينفخ في نفوسنا حياة جديدة وروحاً جديدة [2] أي أننا في حاجة إلى أدب حي يحمل رسالة حضارية تغييرية، تهدف إلى تكوين الفرد المسلم ثم المجتمع المسلم، وتغيير القيم السلبية التي يعيشها العالم الإسلامي، وذلك بإثارة الرغبة في النفوس للعمل الجاد، وللفاعلية المتوقدة لصنع شيء له قيمة في الحياة، وبناء حضارة ترضي الله تعالى ورسوله، وتزكيها الأجيال القادمة.

وقد لفت الشيخ الندوي أنظار المعنيين بالأدب والكتابة ودراسة الأدب وتاريخ الأدب إلى ضرورة الاعتناء بهذا الجانب المهم في الأدب، والذي يستطيع أن يغير الاتجاه من السقيم إلى السليم، ومن سيطرة الأهواء والغرائز إلى سيطرة الأخلاق والقيم النبيلة ومن تبعية الكسل والكساد والخمول إلى الحرص على الحركة والنشاط والفاعلية.

دراسة تطبيقية على أدب الرحلات:

اعتنى الشيخ أبو الحسن الندوي عناية خاصة بأدب الرحلات ومارسه كتابةً وتنظيراً منذ الخمسينيات محاولاً التجديد فيه وقد وجه جل اهتمامه إلى ربطه بالرؤية الإسلامية وإدخاله في دائرة الأدب الإسلامي بعدما لاحظ أن كثيراً من هذا الأدب لا ينطلق من مبادئ واضحة في الفكر والتصور، ولا يعبر بصورة جيدة عن عاطفة الأديب وعقيدته، ويمكن أن نجمل آراءه النظرية في هذا الشأن في النقاط التالية: [3]

أولاً: ركز أبو الحسن الندوي على أهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة، فقد لاحظ أن كثيراً من كتب الرحلات يغلب عليها الجانب الجغرافي وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء آخر، ولا يتناول في الغالب إلا جانباً من جوانب الحياة يتلاءم مع ذوق الأديب، فإذا كان الرحالة أديباً مثلاً اقتصر على فكر الأدباء المشهورين وتصوير الحياة الأدبية في هذه البلاد، وهذا لا يعطي صورة متكاملة عن المجتمع والحياة والعلاقات وغيرها من الأمور المهمة في أدب الرحلة.

16) المرجع نفسه – ص 106.
17) المرجع نفسه – ص 110.
18) المرجع نفسه – ص63 - 67.

ثانياً: نبه أيضاً إلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات لتبقى المشاعر والانطباعات حية في الذاكرة لأنه إذا مر عليها زمان ولم تسجل فستفقد حيويتها وصدقها، فهي أشبه بالظلال والأمواج، فلا تدوم ولا تبقى ولا يستطيع الأديب أن يستعرض ما شاهده ولا يستطيع أن يستعيد ما شعر به، وما ترك الحادث فيه من أثر نفسي.

ثالثاً: وأكد الشيخ الندوي دائماً على أهمية ظهور ذات الأديب وشخصيته في أدب الرحلة فلابد أن يعكس عاطفته وعقيدته في عمله، لأن هذا العمل إذا تجرد من العاطفة والعقيدة والمشاعر، تحول إلى آلة تصوير (باردة)، لا تؤثر في النفس ولا تصلح للبقاء، وسنقف الآن عند كتابين للشيخ طبق فيهما هذه الآراء، وهما كتاب (مذكرات سائح في الشرق العربي) وكتاب (أسبوعان في المغرب الأقصى).

أ- مذكرات سائح في الشرق العربي:

خرج الشيخ الندوي سنة 1951م في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ليدرس وضع هذه البلدان الديني والعلمي والاجتماعي وليستفيد من تجارب علمائها ورجالاتها، وليعرف ببلاده "شبه القارة الهندية" وتجربة الدعوة والإصلاح فيها، وقد حرص في هذه الرحلة كما ذكر[1] على تسجيل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالباً وأن يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، هذا إلى جانب حرصه على تصوير المجتمع بنظرة متكاملة، وإبراز شخصيته ومشاعره وأفكاره، وما يجول في خاطره من كل حادث وموقف عاشه أثناء الرحلة، وسنتحدث عن أهم الخصائص الفكرية والأسلوبية التي تميز بها هذا الكتاب.

1- الأفكار والمشاعر المعروضة في الكتاب:

إن قارئ هذه المذكرات يدرك أن كاتبها حريص على رسم صورة متكاملة الجوانب للمجتمع الذي عايشه في تلك الفترة من حياته، ويستطيع القارئ أن يأخذ فكرة واسعة عن الحياة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية وأن يعرف التيارات الثقافية والمستويات الحضارية لتلك المجتمعات المتنوعة، مما يعطي لهذا العمل قيمة تاريخية مهمة، إلى جانب القيمة الأدبية والفكرية التي أعطت للكتاب طابعه المتميز.

والدارس لهذه المذكرات يلاحظ اهتماماً كبيراً بالجوانب الفكرية والدعوية والأدبية لعلاقتها المباشرة بشخصية الكاتب، فهو رجل يحمل رسالة فكرية حضارية ويعيش الهم الإسلامي ويحس ويشعر بآلام ومشكلات المسلمين

19) أبو الحسن الندوي "مذكرات سائح في الشرق العربي" (مؤسسة الرسالة – بيروت, لبنان, سنة 1983م) ص 8.

في هذه البلدان التي زارها، فهو رجل فكرة ورجل دعوة، عبر عن مشاعره وجسد عقيدته بجلاء ووضوح في هذا العمل وهو الأمل الذي طالما أكده في نظراته النقدية للأدب.

ويمكن أن نجمل تلك القضايا المعروضة في المذكرات في فكرة واحدة أن الشيخ متألم من الواقع الإسلامي بمستوياته المختلفة، فهناك أزمة حضارية في البلاد العربية، والسبب يعود إلى تفسخ الأخلاق واستبداد الحكومات، وتحزب في السياسة، وانصراف في الكلية عن الدين وعبادة المادة [1]، ولا سبيل إلى التحضر إلا بوجود الشعور الديني الصحيح القوي في الشعب، ولا يمكن هذا إلا عن طريق الدعوة العامة، والاتصال بالشعب وتربيته الدينية، وإيجاد الوعي في طبقاته ثم في الجمع بين العلم الديني والمعارف العصرية[2].

وأكد الشيخ الندوي على أن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية والعقل الصحيح[3]. ويمثل هذا الاقتناع التام لجميع قوى النفس كي تحصل على الإرادة اللازمة للعمل والحركة.

ومما يلفت الانتباه في هذه المذكرات اهتمام الشيخ الندوي بإسلامية الأدب، وضرورة قيام جبهة قوية ضد الأدب المنحرف الذي أثر تأثيراً سيئاً في الأمة، وساهم في فساد الطبائع والأخلاق، وشارك في التردي الحضاري.

2- أسلوب الكاتب:

يتميز أسلوب الكاتب في هذه المذكرات بوضوح العبارة وسلامة الألفاظ ودقة المعاني فالكاتب كما يظهر يحب الاسترسال مع البعد عن التكلف مما أكسب كتابه أسلوباً يجمع بين الفائدة والمتعة وجاء الكتاب كأنه قطعة من مؤلفه فالأسلوب هو الرجل كما قرر النقاد ويكفيك هذا الكتاب لتعرف جوانب كثيرة من شخصية كاتبه ومنهجه في الكتابة الأدبية.

ب- أسبوعان في المغرب الأقصى:

قام الشيخ أبو الحسن الندوي برحلة إلى المغرب الأقصى سنة 1976م لحضور مؤتمر حول الجامعات الإسلامية وكان أن قضى أياماً زار خلالها هذا البلد الجميل واطلع على آثاره ومكتباته وتعرف على شعبه وعلمائه، وكتب هذه المذكرات التي عبر فيها عن مشاعره وانطباعاته بأسلوب جميل بليغ[4].

20) المرجع نفسه – ص30.

21) المرجع نفسه – ص 86.

22) المرجع نفسه – ص 48.

23) أبو الحسن الندوي "أسبوعان في المغرب الأقصى" (مؤسسة الرسالة، بيروت, لبنان, سنة 1988م) ص 103.

يغلب على هذه المذكرات الطابع التاريخي، غير أن كاتبها حرص أيضاً على تسجيل انطباعاته عند كل مشهد أو موقف يتعرض له، فجاء الكتاب مصوراً لجوانب من الحياة بمستوياتها المختلفة في هذا البلد الإسلامي، ومعبراً عن شخصية الكاتب الذي ينطلق دائماً من فكره وعقيدته وعاطفته حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء.

إن كاتب هذه المذكرات رجل يحمل فكرة إسلامية يدعو إليها ويدافع عنها، فهو يرى أن أكبر ما يعانيه العالم الإسلامي هو الفراغ والعوز وأشد ما يقاسيه من أزمات هو الضعف الإيماني والفساد الخلقي والتزعزع العقائدي قال: ألق نظرة على العالم الإسلامي وانظر ماذا يعوزه؟ إنه غنيٌّ بكل شيء، بعدد أفراده, وبوسائله وثرواته، وبثقافته وبذكائه، ولكنه رغم ذلك كله لا يملك ثقلاً في الميزان العالمي، ولا دوراً مؤثراً في اتجاهات العالم وأوضاعه وحوادثه، والأزمة الإيمانية هي سبب هذا التراجع الحضاري[1].

ويدعو الشيخ إلى ضرورة التمسك بقيم الحضارة الإسلامية وطابع الأمة الخاص، والاستفادة من الحضارة الغربية في مجالاتها الإيجابية وتجاربها المفيدة التي تتفق مع تعاليم الإسلام، حتى يعود للأمة عزها ومكانتها في العالم، ويبقى أن نشير إلى أن هذه المذكرات كتبت بأسلوب جميل مؤثر، على الرغم من ترجمتها من الأردية إلى العربية.

24) المرجع نفسه – ص 113.

خاتمة

يعد الشيخ أبو الحسن الندوي – رحمه الله - أحد الرواد الأوائل في الصحوة الإسلامية المباركة حيث شارك في نهضتها بفكرٍ عميق ورأي سديد، وعزيمة بلا فتور، وقد كان اهتمامه بالأدب الإسلامي كتابةً وتنظيراً، ودراسة ونقداً يشكل مساهمة كبيرة في تزويد هذه الصحوة بالأدب الحي الذي يبعث الحماسة والحيوية والفعالية في الأمة.

وقد دأب الشيخ على الدعوة إلى بناء وتشكيل أدب إسلامي متميز يقف في وجه الأدب المنحرف الذي أصبح معادياً للقيم، ومجانباً للأخلاق ومثبطاً للهمم، وحدد الشيخ الأطر العامة لهذا الأدب الذي لا بد أن ينطلق من الرؤية الإسلامية، ويعبر عن المشاعر والأفكار بصدق وإخلاص حتى يحقق غايته من التأثير والإقناع.

واهتم الشيخ بأدب الرحلات، ودعا إلى ضرورة التسجيل المباشرة للأحداث والمشاهدات والانطباعات، وأهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة وأهمية ظهور ذات الأديب بعاطفته وعقيدته في أدب الرحلة وطبق هذه النظرات تطبيقاً حسناً في كتابيه "مذكرات سائح في الشرق العربي" و "أسبوعان في المغرب الأقصى" وقدم الشيخ في هذين الكتابين أنموذجاً متميزاً وطريقاً واضحاً لمن يريد الكتابة في هذا النوع من الأدب.